

اهدائية نزار قباني

بقلم محمد الحناوي

الامور الجنسية بعد ذاته في مجتمعنا يلقي ظلا خاصا على صاحبه ،
ظلا يكاد يجرده من ايسر الحوافز الخلقية .

اما الطريف حقا في اخلاقية نزار فهو وجود نمطين واضحين
للنزوع الاخلاقي : الاول ينزع الى التمييز المباشر الصريح عن المشاعر
والاراء الخلقية ، والثاني لا تكاد نحس باراء الشاعر او بمشاعره
الاخلاقية ، بل نتحسس الصدى في وجداننا الخلفي .

فمن اشعاره ذات المواقف الخلقية المباشرة الصريحة .. قصائده
الوطنية والاجتماعية . فقصيدنا (عندنا) (٤) و (بلادي) (٥) شريط
لوحات يفوح منها عبير الجمال والجلال :

وعندنا الصخور تهوى ، والدوالي مدمنه
وان غضبنا .. نزرع الشمس سيوفا مؤمنه

على حين يعكس لنا الوجه الاخر في (خبز وحشيش وقمر) (٦) :

يترك الناس الحوانيت ويمضون زمر
للاقاء القمر
يحملون الخبز والحامي .. الى رأس الجبال
ومعدات الخدر ..
ويبيعون ويشرون خيال
وصور
ويموتون اذا عاش القمر

مثل ذلك الصورة المعبرة (احزان في الاندلس) (٧) :

مضت قرون خمسة
مذ رحل (الخليفة الصغير)
عن اسبانية
ولم تزل احقادنا الصغيرة
كما هيه
ولم تزل عقلية المشيرة
في دمننا كما هيه
حوارنا اليومي بالخناجر
افكارنا اشبه بالاظافر ..

لكن هذا الوطن على ما فيه ومن فيه يفدي الشاعر كل شيء فيه
.. تشهد على ذلك قصائد (راشيل شوارزبيرغ) (٨) و (جميلة بو

حيرد) (٩) و (رسالة من جندي في جبهة السويس) (١٠) :

لم يبق فلاح على محراثه الا وجاء
لم يبق طفل يا ابي الا وجاء
لم تبق سكنين .. ولا فاس
ولا حجر على كتف الطريق
الا وجاء
ليرد قطاع الطريق
ليخط حرفا واحدا ..

ربما لم يتح لشاعر حديث مثل ما اتيح للشاعر نزار قباني من
شهرة عريضة واقبال على انتاجه الذائع الصيت . وقد حظي الى ذلك
باهتمام النقاد فديجت مقالات ودراسات عن حياته ومدرسته الشعرية
واطوار شعره وشعوره . لكن ذلك كله لم يمنع ان تبقى جوانب لم
تدرس بعد في هذا الشاعر .. لعل اغربها واكثرها بعدا عن البال جانب
الاخلاق . وهل لدى صاحب (طفولة نهد) اخلاق ??

ان الشاعر يوحى بالجواب في قصيدة (اكتب لي) (١) :

وما انا ممن يستفعل صبية ليجعلها في الناس اقصوصة تروى
فما زال عندي رغم كثر سوابقي - بقية اخلاقي وشيء من التقوى
وهو نفسه يعرض على القراء تحليلا نفسيا لشخصيته التي هي
ككل شخصية بشرية تنطوي على بذور الخير والشر ، فيقول في قصيدة
(الى قديسة) (٢) :

رجل انا كالاخرين
فيه مزايا الانبياء
وفيه كفر الكافرين

ووداعة الاطفال فيه .. وقسوة التوحشين

سنعجب اكثر العجب لو سمعنا الشاعر وهو ينتقد الشهرة
السطحية والاعدادات الاجتماعية التي لا تهتم بالشعر ولا بشعور الشاعر
بل بمغامراته الفرامية كشهرة نزار التي جعلت منه شاعر المرأة الجنس
لا غير ، يقول :

ما اصعب الادب
فالشعر لا يقرأ في بلادنا لذاته
لجرسه
او عمقه
او محتوى لفظاته

فكل ما يهمنا من شعر هذا الشاعر ..
ما عدد النساء في حياته ؟
وهل له صديقة جديدة ؟
فالناس ..

يقراون في بلادنا القصيدة ..
ويذبحون صاحب القصيدة (٣)

لسنا بصدد محاكمة ، ولكن ذلك لا يعفينا من قول الحق : ان
الصورة المرسمة لنزار في اذهان الناس ليست مقحمة عليه ، ولكنها
شان كل امر شهير .. مبالغ فيها ، او هي تفتي على ابعاده الاخرى .
فهي صورة مختزلة (كاريكاتورية) ليست بالصادقة ولا الكاذبة .

هناك عوامل عدة عملت على اشاعة الصورة غير الكاملة عن نزار :
منها بروز الجانب الفزلي الحسي لديه ، واهتمامات الناس الخاصة
بهذا اللون من الشعر ، ومنها اللوم الاخلاقي اللاذع الذي تناول الشاعر ،
وكذلك نوعية الجمهور الذي ادمن مؤلفاته ، ثم ان حديث الشاعر عن

حرفا بمعركة البقاء

انها موافق وطنية اخلاقية تشف عن حب عميق لهذا الوطن واشفاق عليه ودفاع مستميت عنه .

اما اخلاقيته الاجتماعية فاكثرت تنوعا وصراحة ففي (مرثاة قطة) (١١) تكريم لطهارة المرأة ولبساطتها ، وفي (ساعة الصفر) (١٢) و (امرأة من زجاج) (١٣) و (يجوز ان تكوني) (١٤) اكيار للحب النظيف والمواطف السامية . على حين يسخر من الزواج التجاري في (خانم الخطبة) (١٥) و (الى اجيرة) (١٦) ، كما ينتقد استعباد المرأة في (الحب والبتول) (١٧) و (صوت من الحريم) (١٨) ، ويهاجم العرف الاجتماعي الذي لا يرى في شعر الغزل الا التهم والظنون كما في (ثمن قصائدي) (٢) حتى لينال من طمع المرأة السخيف في قصيدة (تريدين) (١٩) .

يحسن ان نقف قليلا عند لون خاص من اخلاق الشعراء الاجتماعية ، ذلك اللون الذي يفضح زيف حب الشاعر وخداعه للمرأة بصراحة ، يقول في (قصائد لم تكتب لها) (٢٠) :

مزيفها
كتبي الفارغة الجوفاء ان تستلمها
والعيني والعنينا
كاذبا كنت ، وحيي لك دعوى ادعيها

انتي اكتب للهو .. فلا تعتقدي ما جاء فيها

في هذه التجربة قال احد النقاد : (ان قصيدة « رسائل لم تكتب لها » مجموعه اعترافات لم يسطر كاتب بالعربية سطورا في مثل جرأة الصدق الفني المتفعل بين كلماتها (٢١) والاعتراف الصادق بالحقيقة المرة ، الاعتراف الذي يجرح المعترف بالذات .. خلق عال بلا ريب .

ثم في قصيدة (الى مراهقة) يتماسك الشاعر امام صبية غريبة تتحداه ، فيعطيه درساً اخلاقياً شجاعاً :

لا تصبي الكحول
فوق جراحي
فالصراع الذي اعاني رهيب
لك عمر ابنتي
ولين صباحها

وتناطيهما .. فكيف الهروب ؟ (٢٢)

لقد انتقد الشاعر نفسه والمرأة والمجتمع على حد سواء بجرأة وصرافة فريدتين .. سمياً وراء حياة نظيفة سعيدة فاضلة .

ولنزار موافق خلقية ايجابية اخرى فضلا عن موافقه الوطنية والاجتماعية . ففي قصيدة (الدخول الى هيروشيما) (٢٣) اخلاق انسانية رفيعة . اما في قصيدتي (ابي) (٢٤) و (خمس رسائل الى امي) (٢٥) .. فحنان عاطفي سام :

عرفت حضارة التمث
وظفت الهند
ظفت السنند ،
ظفت العالم الاصفر ..

ولم اعثر
على امرأة ، تمشط شعري الاشقر
وتحمل في حقيبتها
الي عرائس السكر
وتكسوني اذا اعزى
وتنشلني اذا اعثر

هذه الاخلاقيات المباشرة الصريحة التي يعجب بعض الناس حين يرونها لدى نزار ، ولا نعجب حين نجدتها لدى كل عربي او شرقي .. هذه الاخلاقيات ليست المقصودة اصلا في هذا المقال ، بل مواقف

الخلقية غير المباشرة التي يندر وجودها لدى كثير من الشعراء المحدثين . ولا بد لنا قبل عرضها ان نقف عند بعض الامور : فمقد يعترض مقترض ويقول ان هذه القصائد لا تمت الى الاخلاق بسبب ، وسر اعتراضه يرجع الى اسلوب القصائد ومنهجها غير المباشرين ، ثم النظرة المفجعة لجنس بني شرفنا اليانس . كما يعترض آخر فيزعم ان لا تصل للشاعر في هذه القصائد ، لانه لم يقصد الى هدف اخلاقي و (اما الاعمال بالنيات) ، والجواب يقتضي الكشف عن جوهر الاخلاق لدى نزار ، الا وهو الصدق في التمييز والصراحة في التصوير ، وهي اخلاق اقتقدناها منذ امد بعيد . وفي ظني ان اخطر اعتراض يوجد الى هذا اللون .. ضالته بالنسبة الى الوانه الاخرى ، وتحت يدي الان ما لا يقل عن ست عشرة قصيدة من مجموعته ستة دواوين - ان عدنا رفصة (سامياً) ديواناً واحداً .

اذا كانت العبارة بالكلمية - لا بالريادة والابداع - فان ست عشرة قصيدة ليست بثروة نافهة لشاعر منهم في اخلاقه !

بوسعنا الان ان نطالع النمط الساني الذي نحن بصده مبتدئين باحد النماذج لتوضيح وجهه نظرنا حول النزوع الاخلاقي غير المباشر . من الامثلة الناجحة قصائد (رسالة من سيده حافدة) (٢٦) و (حبلتي) (٢٧) و (اوعيه الصديد) (٢٨) وهي بالاضافة الى (احبروني) (٢٩) و (الى سيمه) (٣٠) و (الى مينة) (٣١) انعكس لنا غدر الرجل النذل بامراه سادجه محلصه بدلت العالي والمستحيل ورجعت بالعار او الحبيبة . لنقرأ قصيدة (حبلتي) :

« لا تمعج . هي كلمه عجلي . ابي لاشعر اني حبلتي . وصرخت كاللسوع بي . (كلا) . ستمزق اطفال . وارتدت نظردني . واخذت تتسمني . لا شيء يدهتني . فلقد عرفتك دائما ندلاً » .

نحن امام رجل خان جنان ، يقسو على امرأه وجنين بكل فظاظة ، ثم لا يني يخيل السباب ويفتصم بالكذب وبالخادم لينبذ الضحية بعيداً :

صدر حديثاً :

الاشتراكية العربية

بين النظرية والتطبيق

بقلم

عبدالمباري الفيكاي

دراسة جدية مدعومة بالوثائق والارقام عن منجزات الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية والجمهورية الجزائرية

الثلث ٣٠٠ ق. ل

منشورات دار الاداب

فريزة الحيوان تحت قناعي

هذا موقفه الاخلاقي من الصغيرة الفريزة ، فما موقفه من المجوز

الخيبرة :

انا لا تحركني المجاز فارجي لك اربعمون ، واي ذكرى سيئة
والابط اية حفرة ملمونة .. الدود يملأ قطرها والاوبئة (٣٩)
انه شعور التفرز والتنفير ، لكنه ينطوي الى ذلك على اشفاق

في قصيدة (البغي) (٤٠) التي تروي مأساتها :

يا لصوص اللحم .. يا تجاره هكذا لحم السبايا يؤكل
منذ ان كان على الارض هوى انتم الذئب ونحن الحمل
نحن آلات هوى مجهدة تفصل الحب ولا تفصل

مأساة امرأة اصبحت آلة لتعيش ، كالكثيرات من بنات الهوى

اللواتي كتبت عليهن هذه الضريبة القاسية :

من انا ؟ احدى خطاياكم انا نجمة في دمكم تفتسل
اشتبهت الاسرة والطفل وان يحتويه مثل غيري منزل ..
ما اصدق قولها (نجمة في دمكم تفتسل) ، ولكن من يصفي لها ،

لقد مات العدل :

سال الانسى اذا تزني وكم مجرم دامى الزنا لا يسأل
وسير واحد ضمهما تسقط الانسى ويحمى الرجل

بعد هذا التطواف مع النماذج الاجتماعية الجنسية يرض علينا
الشاعر طرفا اخر من اخلاقيات غير المباشرة ، لا تقل طرافة عن سائر
ما مضى ، انها مثل عليا انسانية سامية ، ليس فيها صوت المرأة ولا
جسدها ، ولا غرور الرجل ولا انانيته ، بل الثور ، نعم الثور في مصارعة
الثيران باسبانيا :

برغم النريف الذي يعتريه ..

برغم السهام الدفينة فيه ..

يظل القتيل على ما به ..

اجل .. واكبر .. من قاتليه .. (٤١) .

ما ارفع هذه القيمة الانسانية واسماها ، انها تختصر مأسى

البشرية وتضع لها الثمن المجيد بكلمات قليلة ومثل بسيط .. ها
هو ذا الثور مرة اخرى :

كوريدا ...

كوريدا ...

ويندفع الثور نحو الرداء

قويا .. عنيدا ..

ويسقط في ساحة الملعب

كاي شهيد ..

كاي نبي ..

ولا يتخلى عن الكبرياء (٤٢)

الموقف الاخلاقي هنا ليس رفقا بالحيوان وحسب ، بسبل هو

تعاطف مع هذا الحيوان ، وتمجيد لكبريائه التي هي رمز لكبرياء
الاقوياء البسطاء من أمثال العرب في هذا العصر .

تطلب ((الاداب)) وكتب ((دار الاداب))

في البحرين

من
الشركة العربية للوكالات والتوزيع
شارع المتنبي

« وبعت بالخادم يدفني . في وحشة الدرب . يا من . زرعت

العار في صلبى . وكسرت لي قلبي . ويقول لي . (مولاي ليس هنا) .
مولاه الف هنا . لكنه جينا . لما تاكد اني حبلى » .

انه يتخلى عن مسؤولية ما اقترفت يدها ممتنها كرامة المرأة التي
احبته ، فيحاول رشوتها بالمال . وأي مال ؟ خمسون ليرة سورية ثمن
المنحة والوفاء ؟ يا للثمن :

« ماذا انصقتني ؟ . والقيء في حلقى .. يدمرني . واصابع

الفئان تخفتني . وورثك المشؤوم في بدني . والعار يسحقني .
وحقيقة سوداء تملاني . هي اني . حبلى .

لمن النقود .. لمن . لتجهضي . لتخطي لي كفني . هذا اذن
ثمنى ؟ . ثمن الوفا يا بؤرة العن . انا لم اجنك لملك التبن . شكرا .
ساسقط ذلك الحمل . انا لا اريد له ابا ندلا .. »

اما العار الذي لحق بالفتاة .. اما الام المبرحة التي تعاني منها
.. اما خيبة امالها ، فذلك ثمنه ما تبقى من الخمسين ليرة . يا
للثمن !

هل من شك في الدلالة الاخلاقية لهذا النص الفاجع ، لهذه
المأساة الاجتماعية الرهيبة ؟ ان التربية الاخلاقية اليوم تصمد الى حد
بعيد على التوجيه غير المباشر للعواطف والبول في تميصة العاسة
اخلاقية . فالوظف المباشر ليس الا مرحلة بدائية في التربية ، تجاوزتها
الاجيال والاداب والفنون . لا يكفي ان تقول لي : هذا ضار وهذا
نافع ، بل الخير ان تشعرني او تفنمني او ان تصنعني على الطريق
الذي يجعلني اميز بنفسى الضار والنافع .

ونوع اخر على العكس يرض لنا استهتار المرأة المتذلة بكرامة
الرجل (فهدنسة الحليب) (٣٢) تخون زوجها الامن ، و (همجية
السفنتين) (٣٣) او صاحبة (طوق الياسين) (٣٤) او (مهرجة)
(٣٥) تاجر بجسدها ، و (طائشة الصفائر) (٣٦) لا تفهم من الحب
الا الجنس . لنطالع (مهرجة) :

اتريدين اذ وجدت الشيقا اتريدين ان اكون الصديقا
وتقولينيها بكل غباء .. بؤبؤا جامدا .. ووجها صفيقا
موقفي تعريفينه فتواري عن طريقي يا من اصمت الطريفا
مضحك ما اقترحت .. يا بهلوانا يستحق الرئاء لا التصفيقا
انها عابثة وهو جاد ، انها تاجرة وهو مخلص :

اصديق .. وبعد خمس سنين كنت فيها الشذى وكنت الريحقا
يا له منطق النساء .. امثلي يقبل الان ان يكون صديقا
اسالي ناهديك عن بصماتي كل نهد اشعلت فيه حريقا
هكذا بين ليلة وضحاها تتلقى شقيقة وشقيقا
فكاني لم املا الصدر لوزا وعلى الثغر ما سكبت العقيقا
كان شيئا لم يكن وبراءة الشيطان في عينيها :

اطمئني فلن ازور نفسي قدر النسر ان يظل طليقا
ابدا لن اكون قطا اليقا تستصيفينه ، وثوبا عتيقا
سيدا كنت في مقاصير حبي ومن الصعب ان اصير رقيقا
مثلما دهشنا لموقف المرأة الذي تحول من حبيبة اليقا الى حاقدة
ناثرة .. سندشى مرة اخرى اذ نرى موقف الرجل كذلك قد تسدل .
فهو لم يعد (قطا اليقا) بل (قدر النسر ان يظل طليقا) . انها
مواقف جديدة على قراء نزار قباني .. جديدة كل الجدة .
الشاعر الاناني المدلل ، عمر بن ربيعة العصر .. يتغير ، يتطور ،
بل يعترف باخطائه وفرصته في (يوميات قرصان) (٣٧) :

اشعر في قرادتي

ان يدي في يدك الصغيرة ..

قرصنة حقيرة ..

فيحذر (مصلوبة النهدين) (٣٨) من خطره وشروعه :

عودي لامك ..

ما انا بعمامة

بالأحرى هل كان يصدر في أخلاقياته غير المباشرة عن قصد أخلاقي ؟
أو عن رد فعل ، أو عن تجربة خاصة ؟ أيا كان الجواب ، فنحن ندرس
نصوصا ذات دلالات أخلاقية ، وهذا حسينا .

وإذا وفق الشاعر توفيقا بميذا فسي أشعاره الجنسية ذات
المدلولات الأخلاقية غير المباشرة ، لما له من خيرات خاصة بهذا
اللون .. فان توفيقه في المضمونات الانسانية والمثل العليا ، لا يقل
عن ذلك ، بل هي فتوحات جديدة تسجل للشاعر في مضمار الادب
العالمي الخالد . وحبذا لو استأنف الشاعر ما شرع به من هذا
اللون وقد أشرف على العمر الحافل بالخبرات الفنية والتجارب
الشعورية والتأملات الفكرية . وانه لاهل لكل جديد ونفيس .

محمد الحسناوي

- ١ - ١٥ - ٢٢ - ٢٩ - ٤٠ - قالت لي السمراء .
٤ - ٥ - ٢٣ - ٢٦ - ٢٨ - طفولة نهد .
٣٠ - انت لي .
٦ - ٧ - ١٦ - ٢٠ - ٢٤ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١ - ٢٤ -
قصائد من نزار .
٢ - ٨ - ٩ - ١٧ - ١٨ - ٢٢ - ٢٩ - حبيبتي .
٢ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٩ - ٢٢ - ٢٥ - ٣٥ -
٢٧ - ٤١ - ٤٢ - الرسم بالكلمات .
٢١ - نزار قباني شاعرا وانسانا - محيي الدين صبحي -
ص ١٠٣ .
٤٢ - كلمات في مبادئ علم الاخلاق - الدكتور محمد عبدالله
دراز - ص ١٦ - ١٧ .

هل القارئ يسأل : ما علاقة القضايا الوطنية والاجتماعية
بالاخلاق ؟ أو متى بدأت مواقف الشاعر الاخلاقية بالظهور ؟ أو ما
سر التناقض بين أشعاره الشهوانية والاخلاقية ؟ أو ما هي منابع
النزوع الخلفي لدى الشاعر ؟

اما السؤال الاول فيستلزم التنبيه الى مدلولين للاخلاق :
احدهما قريب محدود الافق ، يتضمن بعض انواع الملكات الفاضلة
التي يجب علينا التحلي بها كالاخلاص والصدق ، والمفة والشجاعة ،
والعدل والوفاء وأمثالها . وثانيهما عام يشمل المبادئ الكلية والمعاني
الجامعة التي تستق منها تلك الواجبات الفرعية (٤٢) .

اما السؤال عن بدايات النزوع الاخلاقي في شعر نزار فامر ذو
بال . لان الانسان قد يلبس لبوس الواعظين بعد أن يكل نابه ويهتريء
مغلبه أيام شيخوخته . لكننا نزار منذ ديوانه الاول (قالت لي
السمراء) يطالعنا بقصائد (الى عجز) و (مدسة الحليب)
و (البني) سالفات الذكر .. ويستمر هذا النزوع لديه مطسردا
متماظما حتى ديوانه الاخير (الرسم بالكلمات) ما عدا رقصة (سامبا)
التي هي قصيدة مستقلة .

والملاحظ ان أخلاقياته الايجابية المباشرة تكثر في ديوانه الاخير
حيث يقترب الانسان من الشيخوخة ، تلك السن التي تزخر بالحكمة
والتجارب الفلسفية .. على حين نلاحظ ان أخلاقياته غير المباشرة
تقاسمت أكثرها دواوين اربعة هي (قالت لي السمراء) و (طفولة
نهد) و (قصائد من نزار) و (الرسم بالكلمات) .

اما تحليل التنافر بين أشعار نزار الحسية الجنسية واشعاره
الاخلاقية ، فيرجع الى طبيعة تكوين النفس الانسانية التي لا تخلو
من النوازع المتباينة أشد التباين ، كما تشير الى ذلك الملاحظة
العادية ، وكما دلت أبحاث فرويد في التحليل النفسي .
لكن من أين استقى الشاعر هذه النوازع والوجدانات ، أو

صدر حديثا :

الرواية الرائعة التي كتبها الروائي العربي الاول

الاستاذ نجيب محفوظ

والتي طال انتظار القراء العرب لها

في كل مكان

أولاد حارتنا

- * اجرا وأخطر ما كتب مؤلف الثلاثية الشهيرة
- * الرواية التي أثارت ضجة كبيرة لدى نشرها في جريدة ((الاهرام)) منذ سنوات فلم يتح لها
- ان تصدر في كتاب ...
- * نشرها ((دار الاداب)) اليوم في اخراج انيق وطباعة فاخرة

الثن ٧٥٠ . ل .